معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, Special Issue, (2020), pp. 117-130
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 12 October 2020
Accepted date: 15 November 2020

الثقافة الغربية وأثرها على نشأة التأويل الروحاني المعاصر للقرآن الكريم

WESTERN CULTURE AND ITS IMPACT ON THE EMERGENCE OF A CONTEMPORARY SPIRITUAL INTERPRETATION OF THE HOLY QUR'AN

Sara Gul Mohammad Seddiqi
Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia
71800, Bandar Baru Nilai, Negeri Sembilan
E-mail: umomar11@gmail.com

Mahyuddin Hashim
Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia
71800, Bandar Baru Nilai, Negeri Sembilan
E-mail: mahyuddin@usim.edu.my

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تحديد العامل لنشأة مذهب الروحانية الباطنية في الغرب وتصديره إلى العالم الإسلامي. فقد ظهرت في الغرب تيارات تروج لهذا المذهب مزاحمة للطرح الديني، تقدم بدائل لا دينية لتحقيق ذات الأهداف والغايات المرجوة من التدين، تعمل على تغيير الإنسان من داخله، لا عبر وساطة الأنبياء وقيود الوحي. ويستخدم المنهج الوصفي التحليلي والنقدي في هذا البحث. وأما أهم النتائج لهذا البحث فالروحانية الباطنية المعاصرة مذهب عقدي تم تلفيقه في الغرب بإحياء عقائد وأفكار باطنية ووثنية قديمة مثل الهندوسية والبوذية والطاوية، وتأويل النصوص المقدسة لدى أهل الكتاب تأويلاً روحانياً على غرار الكبالا اليهودية والغنوصية المسيحية وبعض الأفكار الباطنية والصوفية في العالم الإسلامي، ولما للثقافة الغالبة من سلطة على غيرها؛ ظهرت هذه الأفكار في العالم الإسلامي وظهر من يؤول نصوص القرآن الكريم لتوافق تلك الأفكار المنحرفة.

الكلمات المفتاحية: الثقافة الغربية، التأويل، الروحانية.

ABSTRACT

This research aims to identify the factor in the emergence of esoteric spirituality in the West and its export to the Islamic world, as currents have appeared in the West that promote this doctrine-competing with the religious proposition, offering non-religious alternatives in order to achieve the same goals and objectives of religiosity, working to change the person from within, instead of through the mediation of the prophets and the limitations of revelation. The descriptive

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, Special Issue, (2020), pp. 117-130
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

analytical and critical approach is used in this research, for the most important results of this research, the contemporary esoteric spirituality is a doctrinal doctrine that has been fabricated in the West by reviving ancient mystical and pagan beliefs and ideas such as Hinduism, Buddhism and Taoism, and the interpretation of sacred texts by the People of the Book in a spiritual interpretation that is similar to the Jewish Kabbalah, Christian Gnosticism and some mystical and mystical ideas in the Islamic world, and because the dominant culture has authority over others. Correspondingly, these ideas have appeared in the Islamic world, and someone has interpreted the texts of the Noble Qur'an to coincide with these deviant ideas.

Keywords: Western Culture, Emergence, Spiritual Interpretation.

1. المقدمة

حينما بدأ الغرب في نهضته، بدأ الشرق الإسلامي في كبوته، وكان لذلك أسباب بعضها يرجع إلى المسلمين أنفسهم، وبعضها يرجع إلى أسباب خارجة عن إرادتهم. ومن مظاهر ذلك التأثر، محاولة استيراد أنظمة غريبة عن مبادئنا الإسلامية وتطبيقها في المجتمع الإسلامي، الشعور الانهزامي الذي وسوس لبعض المسلمين بأن ما عند الناس أفضل مما نملك من قيم ومثل وخلق وعلم، تقليد كثير من المسلمين للغرب والشرق غير الإسلامي بالأقوال والأعمال.[1]

وهذه عادة إنسانية كما بينها ابن خلدون في مقدمته، حيث قال: "المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب. فإذا غالطت بذلك واتصل لها اعتقادا فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به، وذلك هو الاقتداء أو لما تراه والله أعلم من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة بأس وإنما هو بما انتحلته من العوائد والمذاهب، تغالط أيضا بذلك عن الغلب وهذا راجع للأول ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها بل وفي سائر أحواله.[2] قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾.[3]

[1] ادية شريف العمري. 1422هـ – 2001م. أضواء على الثقافة الإسلامية. بيروت. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة: 46

[2] عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي. المحقق: خليل شحادة. 1408 هـ – 1988 م . تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. بيروت الناشر: دار الفكر، 184/1

[3] ال عمران 139

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, Special Issue, (2020), pp. 117-130
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ولقد كانت المذاهب الروحانية الوضعية منتشرة في أمم الشرق والغرب لكن التأثر بها لم يظهر في العالم الإسلامي في العصر الحديث إلا بعد أن انتشرت في الغرب الغالب تقنياً وعسكرياً واقتصادياً وسياسياً.

ويهدف هذا البحث إلى تحديد العامل لنشأة مذهب الروحانية الباطنية في الغرب وتصديره إلى العالم الإسلامي. فقد ظهرت في الغرب تيارات تروج لهذا المذهب مزاحمة للطرح الديني، تقدم بدائل لا دينية لتحقيق ذات الأهداف والغايات المرجوة من التدين، تعمل على تغيير الإنسان من داخله، لا عبر وساطة الأنبياء وقيود الوحي. ويستخدم المنهج الوصفي التحليلي والنقدي في هذا البحث.

2. مصطلحات وتعريفات أساسية

التأويل : نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره وعما وضع له في اللغة إلى معنى آخر فإن كان نقله قد صح ببرهان وكان ناقله واجب الطاعة فهو حق وإن كان نقله بخلاف ذلك اطرح ولم يلتفت إليه وحكم لذلك النقل بأنه باطل.[4]

الباطنية: مجموعة فرق مبتدعة تخفي عقائدها، تعتقد أن للشريعة والقرآن ظاهراً وباطناً وأن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً.[5]

الروحانية: "حكمة روحانية عالمية" تعمل على تغيير الإنسان من داخله، لا عبر وساطة الأنبياء وقيود الوحي، وتوسيع دائرة المقدس لتشمل كل شيء...واستكشاف روحي خارج الإطار الديني التقليدي والبحث الذاتي عن المعنى.[6]

المعاصر: مرحلة زمنية تنسب إلى ملك أو دولة، أو إلى تطورات طبيعية أو اجتماعية أو علمية.[7]

التأويل الباطني الروحاني المعاصر: التشكيك بالمنهج "التقليدي" للتعامل مع النص، وتقديم المنهج التأويلي القائم على المدلولات الملفقة للباطنية الروحانية المعاصرة.

3. عوامل ظهور الروحانية المعاصرة في الغرب

إن الإنسان الغربي حينما وجد أن المنهاج التجريبي مفيد، في مجال العلوم الطبيعية، امتلكه الغرور والعجب، وأراد أن يتخذ الواقعية المنطقية منهاجا له في مجال الفكر والروحانيات، فاعتمد على الحواس كوسيلة من وسائل المعرفة، فما لمسه ورآه آمن به وما غاب عن بصره ولمسه وسمعه أنكره وجحده، ولم يقف في يوم ما ليفكر في أن عالم الروحانيات

---

[4] ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري.د.ت. *الإحكام في أصول الأحكام*. بيروت. دار الآفاق الجديدة. ص42

[5] أحمد مختار عبد الحميد عمر . 1429 هـ - 2008 م. *معجم اللغة العربية المعاصرة*. مصر . عالم الكتب. الطبعة: الأولى، ج1 ص221 و محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي. 1408 هـ - 1988 . *معجم لغة الفقهاء*. الأردن. دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية. ص103

[6] هيفاء الرشيد. 1436 – 1437 هـ . المنهج التأويلي في التعامل مع النص :الروحانية الحديثة أنموذجا. بحث مقدم للمشاركة في مؤتمر النص الشرعي: القضايا والمنهج في جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية ص11-12

[7] أحمد مختار عبد الحميد عمر.. معجم اللغة العربية المعاصرة. ج2 ص1507

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, Special Issue, (2020), pp. 117-130
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

يختلف اختلافا شاسعا عن عالم المادة، وما يقع تحت الحواس من العوالم الكونية، لا تدركه الحواس في عالم ما وراء المادة، وما وراء الطبيعة.[8]

ونتج عن عدم إيمانه بالروحانيات قلق نفسي أحسه الفرد الغربي داخل كيانه، وشعور بالضياع أخذ ينتابه صباح مساء، كما أحس بالاضطراب بين واقعه الذي يغرق بالمادة والعبث واللهو وبين نداءات فطرية خفيفة بين الحين والآخر تدعوه للالتزام بشيء من القيم والمثل في حياته، ولكن الإنسان الغربي يفقد هذا التوازن بين الواقع المادي الذي يعيشه وبين القيم التي تخلى عنها حتى اندثرت في طيات النسيان، وغدت الحياة كلها في تصوره لذة عاجلة ومتعة عابرة.. ولم يبق أي أثر للقيم الروحية وللتصور الفكري. وهكذا فقد شوهت الثقافة الغربية معالم الإنسانية لدى الفرد الغربي.[9]

وكان لابد من بديل يشبع الحاجات الروحية للمجتمع الغربي، خاصة بعد أن وجد الغرب نفسه في مأزق روحي بين نظام علماني أثبت فشله في تلبية الحاجات الروحية الأساسية للإنسان، وبين نظام ديني لم يعد يواكب العصر الذي يعيشون فيه، فكانت تلك بيئة خصبة لانتشار مبادئ الروحانية الحديثة وصور التدين البديل.[10]

وإن المتأمل للعالم المعاصر يستطيع أن يحدد ملامح الأصول الفكرية والعقدية التي تشكل رؤيته الآن وإيجازها في تيارين رئيسيين يتجاوزان ما يعرف بالتدين التقليدي أو التدين السماوي (أقصد به الديانات التي تعتقد بوجود رب مباين عن خلقه، خالق ومدبر لهذا الكون يستحق التأليه والعبادة) وهما:

أ. التيار المادي (الإلحادي)

ب. التيار الباطني (الروحاني)

ولقد مر كل تيار من هذين التيارين بمراحل عدة حتى تبلور في صورته النهائية التي عليها اليوم؛ فأما التيار الأول فقد ظهر بوضوح وانتقل من الأفكار التنظيرية إلى الآليات التنفيذية على أرض الواقع منذ الثورة الفرنسية حتى وصل إلى صورته العلمانية الحالية. وأما التيار الثاني فهو ضارب بجذوره في عمق التاريخ؛ ولعل أبرز صوره تلك التي تظهر بجلاء في الفلسفات الباطنية الشرقية من (طاوية وهندزسية وبوذية) .. كما لم يخل دين من الأديان السماوية من تسلل أفكار باطنية فلسفية إليها: من غنوصية النصارى لكبالا اليهود، انتهاء بالفرق الباطنية الإسلامية من قرامطة وشيعة ونصيرية وصوفية...إلخ. إلا أن هذا التيار لم يتجل ويظهر بوضوح إلا في القرن المنصرم، وذلك بعد أن نقلت

[8] نادية شريف العمري. أضواء على الثقافة الاسلامية، ص: 53

[9] المرجع نفسه ص54

[10] هيفاء الرشيد. المنهج التأويلي ص7 نقلاً عن The spirituality Revolution

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, Special Issue, (2020), pp. 117-130
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

فلسفاته من الشرق إلى الغرب عن طرق جمعيات باطنية صريحة ...وتبنت هذه الفلسفات حركات منظمة أشهرها (حركة العصر الجديد New Age movement).[11]

4. تأويل النصوص المقدسة لدى أهل الكتاب

تعرضت الكتب المقدسة لدى أهل الكتاب إلى تأويلات باطنية منحرفة بطرق مختلفة، ومن أشهر التيارات التي استخدمت التأويل الباطني : الغنوصية لدى المسيحيين والكبالا لدى اليهود، وقد كان لذلك أثر امتد إلى العالم الإسلامي قديماً وحديثاً.

الغنوصية:

الغنوص كلمة يونانية معناها اللغوي يفيد: المعرفة أو العرفان. ومعناها في الاصطلاح : التوصل بنوع من الكشف إلى المعارف العليا والحقائق الكلية بشكل داخلي ذاتي مباشر، لا من خلال الوحي الخارجي، ولا العمليات العقلية. وهي تعتبر – عند أتباعها– أقدم عقيدة في الوجود. أما الغنوصية فهي توجه فكري يضم فرقاً متعددة يجمعها الاعتقاد بأن "الخلاص" يكون من خلال العلوم الباطنية الاستسرارية وأحياناً بالطقوس السحرية، فبعضهم يرجع مبادئها إلى الديانة والفلسفة اليونانية القديمة، ويرى أنها أدمجت بالمعتقدات النصرانية، وفسرت النصوص بتفسيرات باطنية لضمان قبول الفلسفة القديمة بين أتباع الديانة الرائجة الجديدة ولا يوجد دليل على وجود غنوصية تحمل ذات الملامح قبل الغنوصية المسيحية.[12]

وقد ظهرت الحركة الغنوصية في الفترة الانتقالية من القرن الأول إلى الثاني – وقت تدوين إنجيلي لوقا ويوحنا – في مصر وسوريا وقدمت نفسها على أنها الممثل الحقيقي للمسيحية فير المقيدة بالشرائع، كما أظهرت العداوة للميراث التوراتي وتصوراته عن الإله والإنسان، ومع هجمة الكنيسة عليها تحول الغنوص إلى المعتقدات السرية والخفية – بل الملحدة أحياناً. ومن أبرز معتقداتها: التأويل الباطني للنصوص الدينية، وحدة الوجود،تأليه الإنسان.[13]

الكبالا اليهودية:

كبالا: كلمة عبرية تعني في اللغة: التقليد، ويقصد بها الحدس والذوق الذي يتحقق بالتأمل والإشراق، فتفسر النصوص من خلاله.[14]

---

[11] رامي عفيفي. الباطنيون الجدد. مجلة حراس الشريعة. العدد الثاني جمادى الآخرة 1434 ص63

[12] هيفاء الرشيد. 2015. حركة العصر الجديد. مركز التأصيل للدراسات. السعودية ص 101–102 و عبد الرحمن بدوي. 1997. مذاهب الإسلاميين. دار العلم للملايين. بيروت –لبنان ص 757–758

[13] هيفاء الرشيد. العصر الجديد ص 104.

[14] المرجع نفسه ص107

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, Special Issue, (2020), pp. 117-130
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وقد بقيت الديانة اليهودية — على ما اعتراها من تحريف– خالية من الفكر الفلسفي الباطني إلى أن لجأت جماعات من اليهود إلى الإسكندرية في وقت سيادة الحكم المقدوني على مصر في القرن الأول للميلاد، فأقبلوا على الثقافة اليونانية وترجموا التوراة إلى اليونانية، وقام بعض اليهود بشرحها شرحاً باطنياً لتفنيد النظرة اليونانية عن التوراة المحرفة كفكر مادي ساذج، وأبرز من قام بذلك : فيلون اليهودي. أما في العالم الإسلامي، فقد كانت الكبالا قد ظهرت باسم فرق العيسوية (ابتدأ ظهورها في زمن آخر ملوك بني أمية) التي تعد أصلاً لعدد من الفرق الباطنية المنتسبة للإسلام[15] ولعل من أشهر أتباع مذهب الكبالا في العالم الإسلامي المدعو: ساباتاي زيفي الذي ادعى أنه مسيح اليهود المنتظر ويعتبر من أتباعه يهود الدونمة الذين أظهروا الإسلام مع بقائهم على اليهودية في الباطن.[16]

5. التأويلات الباطنية الحديثة للكتب المقدسة في العالم الغربي:

لم يتوقف ما تعرضت له الكتب المقدسة من تحريف باطني وغير باطني على مر التاريخ، فلا زال رواد الروحانية المعاصرة يصرحون بوجوب التأويل الباطني للكتاب المقدس رغم معارضة رجال الدين المسيحي لذلك يقول ديباك تشوبرا (أحد رموز الروحانية الحديثة) في كتابه : (يسوع الثالث) : "يمكن لأي أحد أن يقدم تفسيراً جديداً للعهد الجديد. للأسف، هذا النص العظيم مبهم ومشكل إلى حد يؤيد أي أطروحة حول معناه."

ثم يفرد تشوبرا في الكتاب نفسه فصلاً كاملاً بعنوان: " إنجيل الاستنارة" يقدم فيه تأويلاته الخاصة لنصوص الأناجيل وفقاً لفلسفاته الروحانية وخلفيته الهندوسية، متطرقاً لمواضيع بعيدة عن النصرانية كالكارما، ووهمية العالم، والاتحاد ووحدة الوجود.[17]

ومن المعاني التي قدمها كتأويلات روحانية لنصوص الإنجيل: ذاتية الوحي والإلهام الغنوصي، أي إمكانية تحصيل "الوحي" لكل أحد، أن المصدر في داخل كل واحد من الناس، ولا حاجة لواسطة النبوة، أن المعجزات الخارقة تتحقق بمجرد تحوير الوعي وسلوك الطريق الروحاني، أن العالم صدر عن العقل (الوعي) الإلهي، وباقتراب الإنسان للطبيعة الإلهية يدرك أن العالم يصدر عن عقله (وعيه) الذاتي.، أن الوعي السامي هو الوعي الإلهي الذي يخرج الإنسان من صفته البشرية إلى الكينونة المطلقة.[18]

---

[15] الشهرستاني. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني. الملل والنحل. ب.ت . الناشر: مؤسسة الحلبي. ص 187/1

[16] هيفاء الرشيد. العصر الجديد، ص 109-110

[17] هيفاء الرشيد. المنهج التأويلي، ص16-17

[18] المرجع نفسه ص15 نقلاً عن The Third Jesus

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, Special Issue, (2020), pp. 117-130
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ولكن أبرز المؤلفات التي تمثل التأويل الباطني في الروحانيات الحديثة، والكتاب الذي يعد عمدة في هذا الباب، هو للمؤلفة الأمريكية كورين هيلاين – المتوفاة عام 1975– وهو بعنوان: (تفسير العصر الجديد للإنجيل) يقع في سبعة مجلدات، ولكنه غير متداول ولا مشتهر.[19]

الهرمنوطيقا:

تيار الهرمنوطيقا» أو علم التفسير الذي يرجع إلى أوائل القرن التاسع عشر في صورته الحديثة، والذي يوجد حضور له في العديد من الفلسفات الأوربية الكبرى ، فضلاً عن مدارس النقد الأدبي الحديثة، وقبل ذلك كله في علوم نقد وتحليل ما يسمى بالكتاب المقدس في الغرب، وقد أدت هذه الدراسات إلى إسقاط مفاهيم صدق الكتاب المقدس وثباته وصحته، كما فتحت الباب واسعاً أمام من يريد الإبقاء على قدر من الإيمان والمصداقية لهذا الكتاب لكي يؤول ويفسر ويتكئ على المجاز في تعامله مع هذا النص، كذلك أدت الدراسات العالمية واللغوية إلى إسقاط المفهوم المتوارث بأن الكتاب المقدس هو كلمة الرب، وأن الطريق الوحيد للتعامل معه هو تفسيره بالأسلوب اللغوي المعتاد بالشرح والتبيين استخراجاً من معاني الألفاظ، وظهر من خلال هذا كله منهج يرى في النص أو في الكتاب المقدس مجرد وضع بشري، شأنه في ذلك شأن سائر التأليفات البشرية من أدب وقانون وسير وتواريخ، حتى وإن زعم له بعضهم: أصلاً أو إلهاماً أو إسقاطاً إلهي المصدر.[20] ويرتبط بذلك سيادة مفهوم «النسبية» في النظرة إلى النصوص ومضامينها. وهناك كذلك من ملامح هذا الباب الدراسي المهمة توسيع دلالات «التأويل» و «التفسير»و «الفهم».

وهي أفكار تقول بإنكار المعجزات الكونية، والخوارق المذكورة في الأناجيل، وعلى رأسها مولد المسيح من عذراء أو ألوهيته! كما تدعو إلى التأويل المجازي للأناجيل وإسقاط الاتباع الحرفي لها، وتذهب إلى تجاوز ما احتوته التوراة أو الأناجيل من أحكام شرعية، وتنادي بتفسيرات مختلفة جذرياً لجوانب عدة من هذه الكتب.وكان تطرق الشك إلى هذه «الكتب المقدسة» مما يمس مصداقيتها وصحتها شكلاً وتواتراً ومضموناً هو المحك الأول الذي ساهم في النشأة الحديثة «للهرمنوطيقا» وفي الطابع النقدي الذي اصطبغت به.[21]

[19] المرجع نفسه، 20

[20] المرجع نفسه، 20

[21] محمد يحيى. ملحوظات حول قضية «التأويل». مجلة البيان (238 عدد) تصدر عن المنتدى الإسلامي، 72/ 91

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, Special Issue, (2020), pp. 117-130
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وقد تطور مفهوم الهرمنيوطيقا وتنوعت النظريات التي تندرج تحت هذا المصطلح العام، فكانت هناك نظريات تقليدية، هي أشبه ما تكون بأصول التفسير، وهي التي تم استيرادها في العالم الإسلامي- تعمل على تأويل النص بطريقة خيالية ورمزية، مستبعدة المعنى الحرفي المباشر، ومحاولة اكتشاف المعاني "الخفية" وراء النص المقدس.[22]

لقد أصبحت نظريات الهرمنيوطيقا — في العالم الإسلامي- وسيلة للتحرر من دلالة النص بطريقة تبدو "علمية" تعمل على توظيف مصطلحات مزخرفة مستوردة للتوصل إلى فوضى معرفية، وإعادة قراءة التراث وفقاً لرؤى مؤدلجة وأجندات مسبقة، رغم حملها لشعارات موهمة تنفر من التبعية للسلف والتقليد الأعمى للقرون المفضلة.[23]

وفي الحقيقة فإن وجود علم إسلامي عربي للتأويل والتفسير بقواعده وممارساته، كان أمراً جذاباً لنقلة «الهرمنويطيقا» يجنبهم من ناحية التعرض لمقولة الغزو الفكري، كما يضفي عليهم من ناحية أخرى طابع الباحثين المجددين....ولكن وراء هذا التشابه الظاهري أو السطحي كان يكمن الفارق الجوهري بل والخطير بين علم للتفسير نشأ في خطى الإيمان ... والاقتناع العقلي بكتاب مقدس (القرآن) ، وبين علم آخر الهرمنويطيقا الحديثة نشأ في خضم التشكك والنقد والإلحاد العقلي بكتب أخرى يقال لها مقدسة؛ هذا الفارق الجوهري في الموقف من «الكتاب المقدس» وعقيدة كل حضارة على حدة، هو الذي يجعل من المغالطة والسفسطة القول بأن «الهرمنويطيقا» هي الامتداد المشروع والطبيعي لعلوم التفسير الإسلامية لاسيما وأن أصحاب هذا العلم الجديد ودعاته هم المبشرون المتحمسون لمقولة أن لكل علم إنساني أو حتى طبيعي أرضية أيديولوجية وعقيدة فكرية «غير علمية» تحدد محتواه بل ومنهاجه أيضاً ومنطقه...ولتسند طروحات مثل: إعادة تقويم: «التراث» ومراجعته وقراءته و «تطوير» الشريعة الإسلامية، وتفسير القرآن بما «يتلاءم مع عصرنا» وتعددية التفاسير والمعاني القرآنية، و «بشرية النص القرآني»، وتاريخية القرآن ومحدودية انطباقيته، وتجاوز «حرفية» النص القرآني إلى «اتجاهه» في التشريع بل وفي العقيدة، ونسبية التراث ومفاهيمه.[24]

ومن الأمثلة على التأثر بهذا العامل لدى مروجي التأويل الروحاني في العالم الإسلامي، يقول محمد الدحيم: "لقراءة للنص الديني – من دون إحاطة التراث التفسيري بالقارئ – تمنحه فضاءً فكرياً يتمثل في الوعي الوجداني الذي لا يمكن وصفه بأكثر من إشارات أو رموز على صعيد الذهن، وهو على صعيد السلوك ليس أكثر إبداعاً من كونه تجربة، كل ذلك حين يتمثل في تركيب أو تراكيب جديدة للمعنى، أو في الدخول إلى فضاءات ضلال المعنى، وذلك أقوى وأنقى وأتقى.

---

[22] أحمد زايد، الهرمنيوطيقا وإشكالات التأويل ، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد 14، 1991 والمعتصم السيد. 2009. الهرمنيوطيقا في الواقع الإسلامي. دار الهادي. لبنان، ص 45

[23] هيفاء الرشيد. المنهج التأويلي، ص8

[24] محمد يحي .ملحوظات حول قضية «التأويل»، ص (72/ 91)

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, Special Issue, (2020), pp. 117-130
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

مثلت أزمة الفهم التديني للنص الديني في الخلود إلى استدلالات تأريخية تحولت بفعل التلقي اللاواعي . في أفضل التعابير . إلى توجيه معياري وتفسير نهائي لنص غير قابل لفكرة النهائية، كما أسلفت، الأمر الذي أدى إلى تكوين بدهيات فهمية يتم استحضارها للحكم والمحاكمة – على ومع – أي رؤية أو تفسير يخالف تلك البدهيات، التي غالباً ما تقدم بالوصف الذي يضفي عليها المهابة ويمنحها السلطة، كالوصف بـ «العقيدة أو الإجماع أو المنهج."[25]

وهو بذلك ينسف كل التراث التفسيري الممتد منذ عهد النبوة مروراً بالسلف من القون الأولى وما دونه المفسرون في مر التاريخ، كما يهدم قواعد التفسير التي اتفق عليها العلماء على مر العصور، بل إنه في عبارته السابقة يرى الإجماع في حد ذاته عائقاً عن التأويل الصحيح ! وفي موضع آخر يروج فيه للهرمنوطيقا قائلاً:

"أستكمل الحديث بالإشارة إلى مشروع تأويلي له تجربته وفاعليته وحضوره العلمي عالمياً، وهو ما اصطلح عليه بـ''الهرمنيوطيقا''، ولا أريد أن أتحدث عن تاريخيته وتطوره. ولكن إشارتي إلى راهنيته وأهمية أن يكون للعقل الذي يتعامل مع القرآن وعي وإلمام به... وهو وعي بجمالية النص التي يفتقدها الكثير من التفاسير التي كتبت حول القرآن!! والجمالية أساس في مخرجات الهرمنيوطيقا."[26]

6. حركة العصر الجديد في الغرب

يطلق على حركة العصر الجديد عدد من الأسماء الأقل شهرة، منها: روحانية العصر الجديد، والإنسانية الكونية، وتسمى أحياناً :"عصر الدلو" نسبة إلى البرج النجمي المعروف. هذه التقسيمات الفلكية تحمل إشارت رمزية تقوم عليها الفكرة العامة للحركة، فالحوت – أو السمكة – هو رمز للنصرانية، لذلك فإن سيادة برج الحوت في السماء متلازم مع سيادة الديانة النصرانية في الأرض خلال الألفي عام الماضية، أما الدلو فهو حامل الماء، ويرمز إلى استقلالية الإنسان ومقدرته على حمل حمله بنفسه.[27]

عرف بعض الباحثين حركة العصر الجديد بأنها منظومة تتكون من الاعتقاد بتأليه الذات، وبالحقائق النابعة من الذات، وبالقدر الذي تنتجه الذات، تعمل على دمج الباطنية الغربية والهندوسية والبوذية والنصرانية في الجوانب الروحانية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية للمجتمع.[28]

---

[25] محمد بن صالح الدحيم المفكر والمستشار الإسلامي و القاضي سابقا في وزارة العدل السعودية محامي ومستشار قانوني كاتب رأي في صحيفة الحياة عضو مجلس الشورى السعودي
محمد الدحيم. صحيفة الحياة. 31-5-2014

[26] محمد الدحيم. صحيفة مكة 5 جمادى الأولى 1435 - 07 مارس 2014 مقال الفلسفة وفهم القرآن

[27] هيفاء الرشيد. العصر الجديد، 24

[28] المرجع نفسه ص30 نقلاً عن An Overview Of The New Age Movement – William Reck:2

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, Special Issue, (2020), pp. 117-130
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

من أبرز الشخصيات المعاصرة لحركة العصر الجديد (ويمكن ملاحظة تكرار أسمائهم لدى المتأثرين بهم من العرب):

جي زي نايت[29]، بنجمن كريم[30]، ديباك شوبرا[31]، إكهارت تولي.[32]

يشكل النص المقدس لهذا التيار عقبة ومطية، فبالقراءة الأصولية المعتمدة على الدلالات اللغوية والمعاني الظاهرة يعد النص الشرعي مناقضاً لأبرز المعتقدات التي ترتكز عليها الفلسفات الروحانية، وهادماً لأصولها، وهي – في الوقت ذاته – فرصة ومطية تمرر عبرها الأفكار والفلسفات الروحانية، فالشريحة "المتدينة" – المتقبلة للنص المقدس – شريحة واسعة ومستعدة للتلقي من ذلك النص، وليس على المنظر للروحانيات الحديثة سوى التشكيك بالمنهج "التقليدي" للتعامل مع النص، وتقديم المنهج التأويلي كبديل عصري مقبول في الأوساط الدينية.[33]

7. أثر تلك العوامل على رواج التأويل الروحاني في العالم الإسلامي

أخذت الفكرة الباطنية تظهر من جديد في الساحة الإسلامية، ولكنها هذه المرة تتبدى في ثوب مختلف وتشكُّل مغاير وأضحت تتسمى بأسماء جديدة: كاسم التنوير والتجديد والحداثة والتأويل.

وتتحدد معالم الباطنية الجديدة بشكل ظاهر في المدرسة الحداثية العربية؛ فقد تبنَّت هذه المدرسة حقيقة النظرية الباطنية وامتثلت روحها بكل وضوح؛ فقد جعلت الرؤية الباطنية أصلاً من أصولها ومنطلقاً من منطلقاتها المعرفية، ورتبت عليها النتائج نفسها التي ترتبت على الباطنية القديمة، فلا يكاد القارئ يجد فرقاً بين التشكُّلين في حقيقة التأويل الباطني. ونتيجة للباطنية الجديدة فإنه لم يعد الأمر المهم في قراءة النص الديني البحث عن مراد الله ومقصوده من كلامه؛ وإنما بات الأمر المهم هو البحث عما ينقدح في ذهن القارئ للنص من معانٍ ولو كانت مخالفة لما كان من فهم الصحابة، ومن ثمَّ انتهت الباطنية الجديدة إلى أن إعجاز القرآن ليس راجعاً إلى عُلُو بيانه وسُمُوِّ فصاحته وإحكامه وتركيبه ودلالته؛ وإنما إلى أنه أقوى نص ينفتح على معانٍ لا حصر لها ويتقبل احتمالات لا عدَّ لها، ويتسع لكل المتناقضات، وكلها في الوقت نفسه تمثل حقيقته ومقصده.[34]

---

[29] أمريكية ولدت عام 1946، تزعم وساطتها لروح اسمه رامثا أنشأت مدرسة رامثا للاستنارة عام 1988 – هيفاء الرشيد. حركة العصر الجديد ص56

[30] فنان وكاتب سكوتلندي وأحد معلمي حركة العصر الجديد – هيفاء الرشيد.حركة العصر الجديد، ص 57

[31] طبيب أميركي من أصل هندي أسس مركز شوبرا للصحة العامة في ولاية كاليفورنيا، واجه انتقاداً واسعاً من الأوساط العلمية لإقحامه آراء فلسفية غير ثابتة في العلوم التجريبية، يصرح في كتاباته بأن الإنسان هو الإله ومع ذلك فله شعبية في البلدان العربية وزيارات لبعضها– هيفاء الرشيد. حركة العصر الجديد، ص 59

[32] ولد عام 1948 في ألمانيا وأصبح معلماً روحانياً وألف كتابه الشهير (قوة اللحظة) أو (قوة الآن) ورغم أن كتبه تغص بالتعاليم الباطنية والفلسفات الكفرية كالقول بوحدة الوجود وتأليه الذات؛ إلا أنها تلقى رواجاً في العالم العربي – هيفاء الرشيد. حركة العصر الجديدص 59–60

[33] هيفاء الرشيد.المنهج التأويلي ص 13

[34] سلطان العميري. الاتجاه الباطني في تشكله الجديد. مجلة البيان. العدد 296. مارس 2012. ص40

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, Special Issue, (2020), pp. 117-130
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

إن الخلل الشرعي والمنهجي في تعامل المتأثرين بالروحانية الحديثة مع نصوص الشريعة ظاهر، لا يحتاج لكثير بحث وتنقيب لإبرازه ، ولكن استخدام بعضهم للمصطلحات الموهمة ، ومخاطبة الجماهير بالغرائب الدينية بأساليب مقنعة ، شكلت عامل جذب وأدت إلى انتشار التأويلات المخالفة لما قرره السلف ودلت عليه اللغة.[35]

وكما رأينا مثالاً على ذلك فإن الذي يدعو إليه محمد الدحيم يقوم على إحياء التصوف الفلسفي الروحاني بإبراز آراء زنادقة الصوفية المتقدمين؛ كجلال الدين الرومي وابن عربي، والغربيّين المعاصرين أصحاب الإلحاد الروحاني الباطني كديباك شوبرا، وإكهارت تولي، مع تغليف هذا الطرح بعبارات: السلام الداخلي والحبّ الإلهي، والذي يرى الدحيم أنه أي: الحبّ الإلهي طريق الوصول إلى الله....والمستقرئ لنتائج الباطنية الجديدة يدرك بوضوح أننا أمام تحريف جديد للإسلام؛ فقد تغيرت معالم الإسلام الأساسية وتبدلت ملامحه الأصلية وانقلبت سماته الذاتية وصفاته الخاصة، وأصبح في المنتج الحداثي صورة أخرى مختلفة عما يعرفه المسلمون من دينهم؛ فالإسلام الذي يريد أن تصل إليه الباطنية الحداثية إسلام محرَّف ومبدَّل ومشوَّه، وليس هو الإسلام الحقيقي الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والمسلمون من بعدهم.[36] قال الله تعالى: ﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾.[37]

وإن مآلات هذا النوع من التأويل خطيرة إن لم يتم تداركها والتصدي لها، حيث تؤول إلى الاستغناء عن الوحي بتفريغه من معانيه وروحه ولي أعناق الآيات لتحميلها مفاهيم دخيلة مغلوطة، كما تؤول إلى هتك المقدس وتقديس المدنس بما يسمى لدى بعض من يتبنى هذا الاتجاه بنسف الموروث، عن طريق فوضى التأويل وإلباس النصوص أفكار ما يسمى بالأساتذة الروحانيين المعاصرين في الشرق والغرب.[38]

وفي مسألة قراءة النص هذه فلا علاقة للنص الإسلامي بذلك الجدل العقيم التي تتحدث عن نسبية في فهم النص ـ أي نص ـ وعن تاريخيته، وتسعى لنزع طابع القداسة عنه من الأساس، لتعتبره في نهاية المطاف ـ صراحة حيناً وضمناً حيناً آخر ـ نصاً مكتوباً كأي نص بشري تراثي مكتوب، لا تتجاوز دلالته ظرفه الزماني والمكاني... والحق أن ذلك كله منصبّ على نص الكتاب المقدّس في الغرب، وتأويله (الهرمنوطيقا) الذي اقتضته مشكلات فكرية وعلمية وسياسية شهيرة لا صلة للنص القرآني أو النبوي بأي من ملابساتها على الإطلاق، ولكن هكذا يفعل الاستلاب

---

[35] هيفاء الرشيد. .المنهج التأويلي، ص 15

[36] أيمن العنقري. خطورة التصوف الروحاني. موقع إحسان https://www.e7saan.com/article/details/1146 تم استرجاع 2020/11/10

[37] الكهف: 5

[38] ينظر: أيمن بن سعود العنقري. نبذة مختصرة عن الروحانية الحديثة. (19 أغسطس 2019) تم استرجاع (27. ابريل.2020) من https://docdro.id/q8AHyTF ص16

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, Special Issue, (2020), pp. 117-130
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

الحضاري بضحاياه، إذ الكل يدرك عصمة القرآن من أي محاولة للتحريف والتزييف، وأن جميع ما تم بهذا الخصوص باء بالإخفاق الذريع، كما تدرك في الوقت ذاته ما أصاب الكتب المقدسة عند أهل الكتاب من تحريف غير يسير نطق به القرآن في غير ما موضع، وأكدته الدراسات المقارنة بين الكتب المقدسة والقرآن الكريم.[39]

8. الخاتمة

ظهر التأويل الروحاني في العالم الغربي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تحت تأثير عوامل عدة، منها النهضة الأوروبية الصناعية الحديثة، وما نتج منها من موجة مادية وخواء للروح، ومنها الاجتراء على النصوص الدينية، وفقدان الكنيسة حصانتها وأحقيتها في تفسير نصوص الكتاب المقدس، بالإضافة إلى الغموض والجاذبية المتمثلة في الميتافيزيقيا والفلسفات الشرقية الهندية والصينية التي تأثر بها الغرب الغارق في تفسير كل شيء تفسيراً حسياً تجريبياً.[40]

وقد حمل تيار العولمة بعض تلك الأفكار إلى العالم الإسلامي، فتلقفه بعض المسلمين، وحاول أن يصبغه بقشرة إسلامية، وأن يسبغ عليه الشرعية بإدخاله إلى دائرة القرآن الكريم. ولا شك أن التأويل المنحرف للقرآن الكريم أمر خطير، يدرك آثاره السلبية كل من له علم بقواعد تفسيره وأسس تأويله.[41]

وإن كنا فيما مضى نعلل رواج الخرافة بشيوع الجهل والأمية، غير أن الأيام أثبتت أن الخرافة قد تلبس ثوب النظرية العلمية، والشعوذة من الممكن أن تتقنع بقناع السر العلمي. ولقد كان من المرجو أن يكون لأهل القرآن عصمة من قبول ما يناقض دستورهم... غير أنهم لما اتخذوا هذا الدستور مهجوراً؛ استووا بذلك مع من لم تستنر قلوبهم بنور الوحي[42] قال تعالى :﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾.[43]

وذلك الأمر يقتضي من أصحاب الاختصاص في مجالي العقيدة والتفسير استفراغ الوسع والجهد للتصدي لهذا النوع من التأويل. وإن كانت هناك محاولات مشكورة من بعض المختصين في العقيدة، فلا زالت جهود المختصين في التفسير وأصول الفقه نادرة في هذا المجال، وقد جاءت هذه الدراسة في مجال التفسير وعلوم القرآن محاولة من

---

[39] أحمد محمد الدغشي. من يمثل الإسلام؟ تعددية قراءة النص هل تعني عدميته؟ مجلة البيان تصدر عن المنتدى الإسلامي العدد (238)

[40] هيفاء الرشيد.حركة العصر الجديد ص127

[41] ينظر: هيفاء الرشيد. *المنهج التأويلي في التعامل مع النص*ص7-8

[42] عبد الله العجيري. *خرافة السر قراءة تحليلية لكتاب السر وقانون الجذب*. (21 أغسطس 2008). تم استرجاع (27 ابريل 2020) من http://iswy.co/e4ess، ص9 -14. ويقول العجيري في هامش الكتاب ص 12: صرت مقتنعاً بضرورة دراسة تقلبات الموضة الفكرية والصرعات العلمية والتقليعات العقدية في المجتمعات الغربية، فإنها – للأسف – عن قريب سترد علينا، وستجد من يصدق ويؤمن ويروج لها، كون القوم مصدرين ولا زلنا مستوردين والله المستعان.

[43] سورة النور:40

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, Special Issue, (2020), pp. 117-130
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

الباحثة للتوعية بأخطاء وأخطار التأويل الروحاني المعاصر للقرآن الكريم، وإضافة للمتخصصين في مجال مواجهة التأويلات المنحرفة للقرآن الكريم.

REFERENCES (المصادر والمراجع)

[1] Ahmad Aldagshi, Man yomathel Alislam, Mojalat albaian, Almontada alislami, Aladad 238

[2] Ahmad Mokhtar Abdulhameed Omar, 2008, *Moajam Alloga Al Arabia Al Moaserah*, Mesr: Alam alkotob.

[3] Ahmad Zaied, n.d, *Al Hermoneteqa wa Ishkalat Al Taweel*, Hawleiyat Kuliat Alensaneiat wa Aloloom Alejtemaiah, Jameat Qatar, Al Adad 14.

[4] Alenqari, Ayman, *Khotorat Al Tasawoof Al Rawhani*, Ihsaan, ISterjaa 10-11-2020 https://www.e7saan.com/article/details/1146

[5] Alenqari, Ayman, n.d, *Nobza Mokhtasarah Anerawhania Alhadeetha*, 19-8-2019- Isterjaa 27-4-2020 https://docdro.id/q8AHyTF

[6] Alojari, Abdullah, *Khorafat Alser*, 21-8-2008 Isterjaa 27-4-2020 http://iswy.co/e4ess

[7] Al Omari, Nadia Shareef, 2001, *Adwaa Alathaqafa Al Islamia*, Biuret: Moassasat Al Resalah.

[8] Al Rasheed, Haifa, 1436, *Al Manhaj Al Taweeli Fel Taamol Maanas*, Al Saudiah: Motamar Alnas Alsharie, Jameat alqaseem.

[9] Al Rasheed, Haifa, 2015, *Harakat Al Asr Al Jadeed*, Al Suadiah: Markaz Al Taseel.

[10] Al Shahrestani, Abu Al Fath Mohammad bin Abdul Kareem, n.d, *Al Melal wal Nehal*, Moassasat Al Halabi

[11] Ibn Hazm, Abu Mohammad Ali ibn Ahmad Alandalusi, n.d. *Al Ehkam Fee Osool Alahkam*, Biruet: Dar Alafaq Aljadeeda.

[12] Ibn Khaldoon, Abdul Rahman ibn Mohammad, 1988, *Deewan Almobtada Walkhabar Fee Tareekh Alarab Walbarbar*, Biruet: Dar al Fekr

[13] Mohammad Al Dohaim, *Saheefat Macca*, Al Saudiah, 7-5-2014

[14] Mohammad Al Dohaim, *Sahefat Alhaya*, London 31-5-2014

[15] Mohammad Yahia, *Malhozat Hawla Qadeiat Al Taweel*, Mojalat al Bayan, Al Montada Al Islami, Al Adad 238

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, Special Issue, (2020), pp. 117-130
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

[16] Qalaji, Mohammad Rawas, Qunaibi, Hamed Sadeq,1988, *Moajam Logat Al Foqaha*, Jordan: Dar al Nafaees

[17] Rami Afefi, *Al Batenion Al Jodod*, Mojalat Horas Al Sharia, Al Adad 2 1434